الكروس الثاني المرحلة الثانية

المادة: تاريخ الحضارات القديمة

وصف المادة: تاسيس الدولة الساسانية وكيف استطاعت ان تصبح امبراطورية عالمية

عنوان المحاضرة

الساسانيون The Sassanids

المحاضرة الرابعة عشر

محتويات المحاضرة ...

الساسانيون

تاسيس الدولة الساسانية:

لقد سبق وان تكلمنا على الفرثيين بعلاقة الساسانيين بهم ونعيد هنا بشيء من التفصيل كيفية قيام السلالة الفارسية الساسانية وتغلبها على الفرثيين .فتورى لنا المآثر ان ساسان جد السلالة الساسانية . كان الكاهن الاعلى في معبد الالهة (اناهيتا) في اصطخر (برسيبوليس) وان ابنه بابك الذي خلفه في تلك الوظيفة الدينية المهمة قد تزوج من ابنة حاكم الاقليم . وانه ثار عليه فيما بعد واغتصب منه السلطة بالقوة . وقد عدت المآثر المتأخرة (بابك) مؤسس السلالة الساسانية الحاكمة . وان تبوأه منصبه الجديد في تلك الامارة بداية عهد جديد في تاريخ ايران (٢٠٨ م) وكان الملك الفرثي انذاك (ارطبان) الخامس فلم يعترف بمشروعيته عمله وبسلطته ورفض كذلك محاولته لتنصيب ابنه (شابور) مما اردى الى الانشقاق بين الملك الفرثي وبين تابعيه في اقليم فارس وكان اردشير الابن الثاني لبابك قائدا عسكريا في (درب جرد) في فارس ولما مات ابوه رفض الاعتراف بسلطة اخيه شابور ولكن لحسن حظ اردشير مات اخوه فكفاه ذلك مشقة الدخول في نزاع مسلح معه فخلا الجوا لاردشير واعلن نفسه ملكا على فارس

واخضع الى سلطته جميع امراء فارس . وكون من فارس مملكة موحدة قوية . كما وسع سلطته في اصفهان وكرمان . فاخاف ذلك الملك الفرثي ارطبان الخامس . فاوعز الى ملك الاهواز (عيلام) التابع له ان يحارب اردشير ولكن غلبه اردشير في معركة حاسمة . ومن ثم استطاع ان يهزم جيوش الملك الفرثي في ثلاث معارك متوالية . واستطاع في الملاقاة الثالثة والنهائية في بلاد السوس القضاء على الملك نفسه (٢٢٤ م) وهكذا انفتح الطريق امام اردشير الى العاصمة طيسفون في العراق . وتوج اردشير من بعد عامين ملكا شرعيا على جميع ايران (٢٢٦ م) وهكذا رجعت السلطة الى الفرس من بعد خمسة قرون ونصف القرن من سقوط الاخمينين . وكان العام الذي اعلن فيه اردشير نفسه ملكا على ايران بداية على الامبراطورية الساسانية في حدود (٦٣٧) او في (٦٥١م) وهو العام الذي اغتيل فيه يزدجرد في اثناء هربه من جيوش العرب ...

ومع ان اردشير استطاع ان يقضي على الملك الفرثي فانه واجه بعد قليل خطرا جسيما هدد عرشه . اذ تألف اتحاد قوى لمقاومته واعادة السلطان الفرثي وكان مركز المقاومة في هذا الاتحاد مملكة ارمينية التي كان ملكها خسروا الاول . منحدرا من السلالة الفرثية الحاكمة . كما ان روما خشيت من ظهور هذه القوة الجديدة في بلاد ايران فقدمت المساعدات . وساعد الاتحاد ايضا ملك الكوشانيين الذي التجأ اليه افراد اسرة ارطبان وانضمت اليه جماعات من الاسكيشين . ومهما كان الحال فان اردشير تمكن من تحطيم الاتحاد في سلسلة معارك فانسحب الرومان والاسكيشيون وملك الكوشانيين ولم يبق في الميدان الا ملك ارمينية حيث استمر هذا في مقاومته بيد انه دحر من بعد معارك دامت عشر سنين . ومن ثم اصبح اردشير سيد امبراطورية واسعة تمتد من الفرات الى مرو وهيرات وسستان . فعمل اردشير على تقوية تخوم هذه الامبراطورية مما ادى الى الاصطدام بروما احرز فيه الفرس سلسلة من الانتصارات على الرومان واستولى الفرس على حصنين مهمين هما نصيبين وحران ..

شابور :.

حكم اردشير حكما طويلا دام نحوا خمسين عاما استطاع في خلاله ان يدحر اعدائه الواحد بعد الاخر . ونجح في اقامة اسس امبراطورية واسعة ولعل اهم اعماله التي يذكر من اجلها تحويله الجيوش الى اداة نظامية قوية واشرك ابنه شابور الاول في الحكم . ويروى ان نقل له العرش قبل موته بضع سنوات . فورث شابور عن ابيه دولة موطدة نوعا ما ولكن لاتزال قائمة فيها الانظمة الفرثية وعلى رأسها النظام الاقطاعي فابقى عليه ولكن حسن في هذا النظام بان قوى فيه السلطة المركزية .مضافا الى ذلك جيش نظامي حسن التدريب مما جعل الامبراطورية تقوم على اسس وطيدة مدة من الزمن.

لقد وجه شابور همه منذ البداية الى الشؤون الخارجية وبامكاننا ان نوجز اعماله في جبهتين رئيستين هما الجبهة الشرقية والجبهة الغربية وكان اهم خطر شغل شابور في الجبهة الشرقية

وجود مملكة قوية في تخوم المملكة الفارسية الشرقية هي المملكة الكوشانية التي تأسست منذ القرن الاول للميلاد (في العهد الفرثي) مما جعلها مصدر خطر جسيم من الناحية السياسية والاقتصادية . اذ كانت المملكة الفارسية في الواقع بين قوتين خطرتين هما الامبراطورية الرومانية والكوشانيين . وتدخل في هذه المشكلة من الحدود الشرقية مشكلة الدولة الارمينية. فوجه شابور قواه اولا على الكوشانيين . وخلف اخبار انتصاره عليهم في الكتابات المنقوشة في جدران معبد (نقش رستم) حيث استولى على (بيشوار) عاصمة الكوشانيين الشتائية واستولى على وادي نهر السند ثم زحف شمالا وعبر هندو كوش واستولى على بلاد البخت . وعبر سيحون ودخل سمرقند وطشقند وخلع الملك الكوشاني ونصب بدلا منه ملكا جديدا تابعا للفرس مع تقليص حدود المملكة وجعلها ولاية . وبعد هذه التسوية الناجحة في الجبهة الشرقية حول شابور جهوده الى الجبهة الغربية وكان الحظ حليفه في الغرب ايضا فقد زحف على سوريا وتوغل بعيدا فيها الى انطاكيا ولكنه لاقى بعض الاندحارات وفيما كان مصمما على الانسحاب اغتيل الامبراطور الروماني (غورديان) واسرع خلفه فيليب الملقب بالعربي الى طلب الصلح دافعا جزية كبيرة الى فارس وتخلى عن بلاد ما بين النهرين وارمينية (٢٢٤م) ولكن نشبت الحرب مع روما من بعد ١٥ عاما على هذه التسوية . واحرز شابور نصرا لامعا فيها حيث استطاع ان يستولي على اهم المدن السورية من بينها المركز المهم (انطاكيا) وفي موقعه كبرى قرب الرها (اديسا) وقع الامبراطور الروماني (فالريان) اسيرا بيد شابور ومعه زهاء (٧٠٠٠٠) جندي من الرومان من فرق (الليجون) الرومانية الممتازة فأخذ هؤلاء الى ايران ووطنوا في مقار بنيت لهم على هيئة معسكرات رومانية في خوزستان بالدرجة الاولى (٢٦٠م) وقد استفادت الامبراطورية الفارسية من اختصاص هؤلاء . اذ كان بينهم المعماريون والمهندسون فشغلوهم في الاعمال العامة كأنشاء الطرق والجسور والاسداد وحصل شابور من هذه الانتصارات اللامعة على غنائم واسلاب وفيرة ولكن حدث له في اثناء عودته عن طريق شمالي سوريا حادث طريف لم يكن يحلم به الملك الفارسي . اذ عندما اقتربت جموعه من تدمر العربية ارسل الملك اذينة هدايا ثمينة ولكن الملك الفارسي رفض هذه الهدايا باحتقار متسائلا عمن يكون اذينة هذا؟ ولم لم يجئ بنفسه ويسجد للملك العظيم ؟ فكان جواب اذينة ان ظهر بجموعه الاشداء (٢٦٥م) فاوقع الرعب في الجيش الفارسي وجدثت فوضى وسلب الملك الفارسي جزءا من الغنائم الكثيرة ومع ذلك فلم يكن هذا الانتكاس امرا ذا بال بالنسبة الى انتصاراته على فاليران وكان هذا الحادث المهم قد بلغ الرومان فقربوا اليهم اذينة ولقبوه (بحاكم المشرق) وكان هذا لقبا عظيما ورثته عن اذينة زوجه الملكة زنوبيا او كما يسميها العرب ب(الزباء او زينب) وقد كانت هذه ملكة عظيمة وصفها المؤرخ الشهير (جيبون) بانها كانت ملكة نابغة مشهورة بالصيد والفروسية وتصنفها المصادر الرومانية بجمالها وثقافتها وانها كانت تحسن اللاتينية والاغريقية والمصرية علاوة على اللهجة السورية .وقد ورثت العرش عن زوجها الذي اغتاله احد اقاربه بالوصاية على ابنها (وهب اللات) .وقد امتازت (الزباء)

بطموحها الخارق فانها تحدت الامبراطورية الرومانية وشنت عليها الحرب واستطاعت ان تمد حدود مملكتها بحيث شملت ولاية مصر وقسما كبيرا من اسيا الصغرى حيث دحرت الجيش الروماني هناك (٢٧٠ م) واستولت في العام نفسه على الاسكندرية وتوجت ابنها الصغير ملكا على مصر . واشتهر من قوادها الحربيين قائدان عظيمان يعزى اليهما تدبير خطط الملكة الحربية وهما (زباى) و(زبداء) ولكن طموح (الزباء) الخارق كلفها ثمنا غاليا فانها لم تكف بتحدي الامبراطورية الرمانية بل انها اخذت تحارب الفرس ودحرت جيوش (شابور) مرتين وصلت في كل معركة منهما الى ابواب العاصمة (طيسفون) ولما بلغت دولة تدمر هذه القوة حل الرعب في الرومان فعزم الامبراطور الروماني (اورليان) وضع نهاية لدولة تدمر فبعد ان دحر القائد (زبدا) في انطاكيا وفي حمص هاجم في ربيع عام ٢٧٢ تدمر نفسها وبعد حصار شديد يأست الملكة من المقاومة فهربت واخذت بعدئذ مصفدة بسلاسل من الذهب وسارت امام عربة الامبراطور في دخوله منتصرا الى روما وبذلك انتهت حياة هذه الملكة وخربت المدينة ونهبت كنوز معبدها الشهير المخصص لعبادة الاله الشمس واخذت الى روما الى معبد شيده الامبراطور للاله الشمس تخليدا لذكرى انتصاره هذا فانتهت حياة ملكة تدمر وخلفتها في الاهمية التجارية بعض المدن السورية التي كونها الغساسنة مثل بصرى ..

ومن الامور التي يجدر ذكرها عن عهد شابور الاول المدينة المهمة التي شيدها في اقليم خوزستان في الموضع المسمى بالسريانية بيت لافط وموضعها الا ان شاه اباد وعرفت في المصادر العربية باسم (جند بسابور) التي اشتهرت بمدرستها في الطب وفروع المعرفة الاخرى مما كان لها اثر عظيم ف الطب العربي وظلت مزدهرة الى العهد الاسلامي .لقد بنى شابور هذه المدينة تخليدا لانتصاره على الامبراطور الروماني (فاليريان) وتدميره انطاكيا وقد سماها باسم طريف يعني (احسن من انطاكيا مدينة شابور) وصارت هذه من المراكز العلمية الشهيرة ولجأ اليها كثير من العلماء النساطرة بعد ان طردتهم بيزنطة في القرن الخامس من اقليم اديسا (الرها) واشتهر شابور بولعه بالحكمة والمعرفة والفلسفة وترجمة المآثر اليونانية في ذلك .

وبعد الاستطراد الذي اضطررنا اليه في ذكر بعض الاشياء المفيدة عن تدمر تعود فنوجز ما تم في عهد شابور من الاحداث المهمة .وعلى رأس ذلك ماقام به هذا الملك العظيم بالاضافة الى اعماله العسكرية من التنظيمات الداخلية للامبراطورية مما بدأ به ابوه واشتهر شابور بولعه بالمعرفة تتضمن نواحي مختلفة من المعرفة كالطب والفلك والفلسفة ومن الامور التي تستحق الذكر عن عهد شابور ظهور حركة ماني الدينية حيث شمله هذا الملك الفارسي بحمايته واهتم بتعضيد حركته الدينية ولعله استهدف من ذلك تأسيس ديانة عامة عالمية في امبراطوريته ولما كنا سنذكر اشياء اخرى عن هذه الديانة في موضع اخر فنكتفي هنا بان نذكر انها حصلت على اتباع كثيرين في جميع اسيا الغربية ولكن وقع اضطهاد في صاحبها واتباعها من بعد موت شابور (٢٧٢ م) بزمن قليل في عهد بهرام (وهرام) الاول حيث حكم على ماني بالموت .

خلفاء شابور :

كان شابور من اعاظم ملوك السلالة الساسانية وقد حصلت من بعده اضطرابات وثورات مما احل في المملكة فترة من الوهن والضعف . خلف شابور ابناه هرمزد (هرمز) الاول ثم بهرام الاول .ثم بهرام الثاني وبهرام الثالث .ونشبت حرب جديدة مع روما في عهد بهرام الثاني كما حدثت ثورة خطيرة في التخوم الشرقية من الامبراطورية حيث اراد اخوه الذي كان واليا على (سستان) اغتصاب العرش وساعده في ذلك امير مملكة كوشان مما جعل الخطر يشتد علي بهرام في جبهتين ولذلك اعتمد الى عقد الصلح مع روما متخليا بموجبها ع بلاد مابين النهرين وارمينية .ولم يحكم بهرام الثالث سوى بضعة اشهر (٢٩٣م) حيث خلعه اخوه نرسي (٢٩٣__٣٠٢ م) وهو سابع ملك من بعد اردشير وتجددت الحرب مع الرومان في عهد (نرسي) وكان قائد الجيش الروماني (غاليربوس) وكان النصر حليف الملك الفارسي وتقهقر القائد الروماني الى انطاكيا حيث عززه الامبراطور الروماني (ديوقليشان) الذي قاد الجيش بنفسه وهاجم الملك الفارسي في السنة التالية فاحرز الرومان نصرا ساحقا على الفرس حتى انهم اسروا جميع اسرة (نرسي) وعقدت معاهدة بين الطرفين سلخت بموجبها ارمينية الصغرى وجملة ولايات فارسية شرقي دجلة .وبلغ الضعف في ايران مبلغا كبيرا فركن الساسانيون الى سياسة المصالحة مع الرومان ومع الكوشانيين حتى ان هرمز الثاني ابن نرسي وخليفته تزوج بأميرة كوشانية . ولم تحدث في عهد هرمز الثاني (٣٠٣_٣٠٩) حوادث تستحق الذكر . وتبوأ العرش الفارسي بعد موته ملك شاب هو شابور الثاني (شابور ذو الاكفاف كما سماه العرب) الذي دام حكمه زمنا طويلا نحو سبعين عاما (٣٠٩_٣٧٩م) برهن فيه على كفائته في الحكم . وقد احتذى مثال شابور الاول وكان اول محك لقدرته توجيه قواه على مملكة الكوشانيين حيث حطم امبراطوريتهم وضمت الى ايران على هيئة ولاية تابعة يحكمها ولاة من الامراء الساسانيين في مقرهم في (بلخ) ومما يذكر عن عهد هذا الملك القدير انتشار الثقافة الايرانية والفن الايراني شرقا الى المدن التركستانية الصينية وحتى الى الصين نفسها واستأنف شابور الثاني من بعد استتباب الامور له في الشرق نزاعه مع الرومان لازالة عار المعاهدات التي فرضتها روما علي بهرام الثاني و(نرسي) وكان سير الحرب في مبدأ الامر في صالح الرومان . ولكن تغير الوضع الى صالح الفرس بعد التسوية التي تمت مع الكوشانيين والافتلاطيين حيث ساعد هؤلاء الاقوام البربرية الشديدة الجيوش الفارسية في حربها مع الرومان وكانت اولى المعارك العظمى في عهد الامبراطور الروماني قسطنطين في سنجار فكان النصر حليف شابور وبعد ذلك توجه شابور الى نصيبين التي كانت قلعة رومانية محصنة كما ذكرنا وكاد ان ينتصر هنا لولا الارتباك الذي حدث في جيشه واضطراره على ترك الحرب والذهاب الى فارس ليخمد ثورة كانت قد نشبت هناك . وبعد اخماد الثورة رجع فقصد الشمال وحاصر(آمد) وقتل اهلها ومن بعد ذلك شغل الفرس انفسهم في تخريب بعض القلاع الرومانية .وفي اثناء ذلك جاء الى الحكم في روما الامبراطور (جوليان) وقد بدأ حكمه في غزوه الشرق وعبأ لذلك جيشا كبيرا

ومعه اسطول من السفن فبعد ان عبر الفرات سار متوجها الى حران وقسم هنا جيشه الى قسمين ارسل القسم الاول منه شرقا الى نصيبين وسار بنفسه مع الاخر بأتجاه الفرات . وكان الاسطول يرافق الجيش الزاحف .وقد وصل الامبراطور الى بابل نفسها وكان قد دمر مدنا كثيرة خلال تقدم الجيش ومن ثم سار الجيش شرقا الى العاصمة (طيسفون) فنشبت معركة عظيمة بين الفرس والروم على ابواب العاصمة كان النصر فيها الى الرومان وكان الملك الفارسي آنذاك بعيدا عن العاصمة . فأسرع في العودة ليخلص عاصمته من الحصار الروماني يضاف الى ذلك ان الجيش الروماني الثاني لم يصل بعد باتجاه دجلة نظرا للمناوشات التي حصلت بينه وبين الارمن لذلك قرر مجلس الامبراطور الحربي ان يترك حصار العاصمة الفارسية ويذهب لاخضاع المقاطعات الشرقية وعزم الامبراطور على حرق اسطوله مخافة ان يقع بأيدي العدو . وبعد ان فعل ذلك سار متوجها الى بعقوبة ومنها الى جبل حمرين وكان الفصل صيفا فلاقى الجيش صعوبات عظيمة . وبعد ايام ظهر جيش الملك الفارسي (شابور) الذ اعترض مرور الامبراطور من تلول حمرين الى كركوك . وقد نشبت على اثر ذلك معارك غير حاسمة قتل في احداها الامبراطور بسهم في قلبه فمات على الاثر . فأضطرب الجيش من بعده ولما لم يتمكن من عبور جبال حمرين تقهقر قسم منه وعبر دجلة قرب سامراء ووصل الباقي بخالة مبعثرة الى انطاكيا وقد رافف حملة جوليان المؤرخ الروماني (مرشيلينوس) المشهور وكتب عن هذه الحوادث في مؤلفاته التأريخية . وهكذا كانت نتيجة غزوة جوليان للشرق ومن نتائجها ايضا ابرام معاهدة بين الامبراطور الذي خلف جوليان وهو جوفيان وبين شابور حصل بموجبها الفرس على اقاليم مهمة من الامبراطورية الرومانية مثل سنجار ونصيبين وارمينية التي احتلت احتلال عسكريا من جانب الفرس بقيادة مرزيان (اي احد قواد تخوم) .....